

## تلاميذ الطين

أزمة الثقة في أي عمل تشكل عاملاً للتعطيل والفشل، فكيف إذا كانت على المستوى السياسي وداخل بنيان السلطة، فهي بالتأكيد تشل الحركة، وتعطل عملية البناء، تخلق انشقاقات ولولم تكن معلنة، بين الأطراف المتشاركة في المكان الواحد، مما يؤثر على الأداء، ويضعف الهمم، ويقلل النشاط، ويبرز عوامل التربص والابتعاد بكل طرف، أو بين مجموعة الأطراف، ويشيع الفساد، ويكثر من الاتهامات.

هذه من أبرز معالم أزمة الثقة، لذلك ظلت حالة الترددي في مؤسسات الدولة، تسبق أي خطوة انتاجية، أو عملاً بنوياً يخدم مصالح المواطنين، وقد تراكمت أزمات المواطنين في كافة النواحي، وأصبح الغضب الشعبي محدود الانفجار. بالتأكيد أطراف السلطة تدرك هذه الحقائق، لكنها تتعamy عنها، وقد انسحبت لكل المكانات، وقد أصبحت المواقع الأدنى من مراكز القرار، تحمل مسؤولية فشلها مركز السلطة، وهي التي لديها من الصلاحيات والامكانيات ما يجعلها لو ارادت أن تحقق منجزات يحترمها الانسان، لكن هذا لم يتحقق عبر السنوات الطويلة الماضية.

لو تحسست ضمائر من يعينهم الامر، حالة طلاب المدارس الابتدائية في محافظة الديوانية، وهم يجلسون على الارض بخيم متهاككة وغرف من الطين تسمى عبتاً صيفوفاً مدرسية لكان من الممكن أن يجدوا الحلول، ولو تسامل هؤلاء المسؤولون في مجلس المحافظة بأن اولادهم مع مجموعة هؤلاء التلاميذ المساكين، فكيف ستكون الاجابة.

لايمكن بأي حال من الاحوال، القبول من دولة مورادها الشهيرة من النفط وحده نحو عشر مليارات من الدولارات إن لم تكن أكثر وفي هذا الزمن ذاته وطلاب بغداد وبعض المحافظات الصغار يتحملون وحدهم اسقاطات السلطات وعبث الحاكمين وعدم الثقة ببعضهم البعض، كيف سيكون حكم الزمن والتاريخ عليهم.

اجرم بان هؤلاء الصغار من التلاميذ الذين يفتشرون الارض ويعلمون في غرف الطين والخيم المربعة البالية، وحدهم يتصدون لحرارة الشمس وقساوة مناخ الشتاء، لم يزرهم احد من مسؤولي المحافظة ولا مجلسها العتيق ولا أحد من وزارة التربية، ولا عضو من مجلس النواب.

لقد تحدث ذلك الشيخ الذي فقد ابنه ورفض اللجوء للعشائر ورجال الدين، وإنما القضاء وحده لكي يأخذ حق ابنه عبر القانون، وأراد بشجاعة نادرة أن يؤسس للانسان حقه عبر القانون، لأنه متيقن بأن مصيبة العراقي بضعف سلطته، مما دفع بالهوامش أن تكون أقوى من القانون، وفي هذه الغضبية طالب السلطات أن تحتل مكانها الطبيعي، لأن بضعفها يفقد الانسان حقه الطبيعي، مثلما فقد هؤلاء الغنية حقوقهم في المكان الدراسي الامن فتلاميذ الطين بالديوانية غضبهم يصل للسما، وهو غضب مستجاب، يهدم عروش الضباط، ويحطم السيارات المضادة للارصا، لو استخدمت نصف اثمانها لما انتعشت مدارس الطين والخيم المربعة. عاش تلاميذ الطين، عاش العراق، عاش العراق، عاش العراق، ولكن لو ادرك هؤلاء جميعا، بان اهمال وعدم الاهتمام بحقوق الناس يخلق تراكمات مضافة من الغضب الشعبي القابل للانفجار في لحظة من الزمن لا يقدر حدود تأثيرها هؤلاء.

لا تسأل يا اخي عن المستقبل فالاسوأ قادم لاننا نشاهد لعبة خبيثة كل الاعبون فيها تحيط بهم الشكوك والله يسترنا ويستر الجميع. فاقول لك يا اخي بكل وضوح عندما يولد الانسان يبدأ في اللعب الى سن معينة ثم يتوقف، ولكن هناك من الناس من يكون اللعب سمة حياته، ففي طفولته يلعب مع اقاربه، ثم في المدرسة يلعب بدل ابي پدرس، وإذا أسعفه الحظ واكمل الدراسة زحفا ونال الوظيفة، جعل ميدان العمل كميادان الكرة في فوضى لا حدود لها، لاعبا على مديره وزواره.

وقد يساعده الحظ أكثر 'تيلعب بالفلوس لعب' ولكن لابد لاية لعبة، مهما طالت ان تنتهي. وهكذا يجد نفسه وقد خرج خاسرا حاسرا بعد عمر مديد امضاه في لهو ولعب، وان كانت الحياة الدنيا كلها لعبا ولهاو وزيئة، الا ان الحكمة توجب علينا ان نعيشها في عمل نافع، او علم او كليهما.

وهناك من يلعب على الناس مثل قادة الاحزاب السياسية في الشرق والغرب وخاصة هنا في العراق، او يلعب بالنانس مثل بعض الزعماء الملمهين على شاكلة صدام ومن وافقه. ولكن هذا النوع من اللعب مبيت.

ومع هذا فقد كان هناك دائما لاعبين!!! ولان الانسان مولع باللعب فقد اخترع له اشكالا لانتهى، بدءا بالالعاب البدائية ومرورا بالالعاب الفيديوي وغيرها، والتي تمتلئ بالعنف، ولكن شعب العراق لم ولن يخفني، وسوف يستمر مناظلا على ارض عربية كريمة اسمها ارض الرافدين، مهد الحضارات الانسانية، ومنطلق الفتوحات الاسلامية، وتذكرة التاريخ الملىء بالبطولات والاساطير التي نقلت للابد الانساني.

ولابد ان نقول لمن يلعب باعصابنا ان حركة التاريخ بالضرورة تحافظ على قواعدها، فلا استمرار لأي احتلال، ولابد للشعوب من النهوض اذا كانت رغبة في الحياة.

ومن يقرا التاريخ يجد هذه الحقائق ماثلة امامه، ولكن للأسف هناك من يتجاهل الحقيقة، وهو كمن يلعب على نفسه ويدخل ذاته، وسوف يكتشف ذات يوم ان عليه الاعتراف بحقائق الاشياء، والتقييد بقواعد لعبة السياسة التي لها اسرار لا يصل اليها من لم تحترق اصابعه بنيران الحنارب.

وارض الف ليلة وليلة قادرة على ابتداء قصص جديدة تغذي بها الخيال الانساني الذي سيتوقف طويلا امام ما حدث، وسيكتشف أي لعب مارسه صدام على شعبه وعلى العالم، فإوهمهم ان لديه اسلحة دمار شامل لم تكن سوى دعاية أت بنتيجة معكوسة، ثم لما اعترف بالحقيقة معتقدا ان اللعب قد انتهى، اكتشف في الوقت الصانع ان اللعب قد بدأ، وان ذلك لم يكن سوى مقدمات اقتضتها ضرورات اللعبة الكبرى مع الكذبة الكبرى التي اخترعها صدام، ومجموعة من مفكره الذين اقتنعوه بان الكذب ينفع احيانا، وبأن اللعب ينفع دائما.

ولما حانت ساعة الحقيقة اكتشف انه مكشوف الظهر، فولى مدبرا وترك بغداد للريح، وترك العالم في حيرة.. اما ان اللعبة قد انتهت كما قال مندوب العراق السابق في الامم المتحدة، وهو يهم بمغادرة مقر عمله فان الذي حدث هو تبدل اللاعبين.

لكن اللعبة لاتزال في بدايتها، وعلينا انتظار النتائج التي ستكون في الغالب مرفقة للأعصاب!!!

إذا ما العمل تظاهرات وستستمر مظاهرات ضد مظاهرات ونحن الضخيمة. ونسأل اله تعالت قدرته ان يكون في عون الجميع ويستتر الجميع.

عبد المحسن عباس الوائلي  
بغداد



أرش رامبو



بدر شاكر السياب



فكتوريا

المغامر، وأخيراً: الزنجي تومان بنابه الذي يُخرج موسيقاه من الألف، فيتخيل عذوبة أصبيات الريف الإنكليزي والسرعة العائدين، هوءه موازيت الشتاء والجمعة.

وكانه يتمنى صياغة معاصرة وعملية لكتاب لورنس «أعمدة الحكمة السبعة»، ولكنه خائف من رجل مدشدأشاة سوداء، وييده بخندقية قنص، وفتوى مقاومة المحتل الإنكليزي تقلق مضجعه. لكنه يشعر بسعادة في توبينه من مقائل صدرى، من فوق بيت من بيوت الشناشيل في واحدة من دوريات مفرزته الراجلة.

يتذكر تلك اللحظات التي يسكنها الفلق ومضعة تأمل الواجبات الخشبية للبيوت التوراتية، ويقارن قننتها بما كانت فرجينيا تطالعه في الكتاب المقدس، وهي تقرب نبوءات الآيات من اجنان بيتى، وعندما تخفض عينيه على الجوه، وفيه عيون بعلما، وتظنر باستغراب إلى حمرة خردوي، وتمتئ تنذوقها وأنا امتنع.....

في سعادته العميقة، يستعيدا مع تخيل المسن وزوجها وتواريخها البعيدة، يفرض فيه اشتياق معطر، وهو يحل موته بين تذكر مقال (أمير) الذي تحول من مترجم إلى صديق وبين فتنة الإغراء في لحظة الذهبية

ومعوله في منحن حبيبتها الغري بدشها المعول، وهو يضرب على الشهد الالعب بضربات القالب؛ ليعيد الثبات إلى روحه وجسده، بعد أشهر من الفزع والحزن والغذاء المحلب والتجوال في اسواق مدينة تشعرك سقوف اسواقها الخشبية وصواري سفنها ورائحة التوابل ان ليل زنجبار الذي وجده ساحرا في اوراق جده ميتر وقصائد أرثر رامبو يستعيد بكل تفاصيله مع تخيل وجه تومان، وهو يعرف بنياه، وهو يختلط بتلك الأغانى الزنجبارية التي سمعها ذات مرة في حفل بلندن للفنون الإفريقية.

ومن يومها؛ قرر أن يلحق بقسم الدراسات الشرقية، ويبحث عن دقات جده بيتر، ليعرف - تماما - ما الذي تعنيه هذه الرؤى المدهشة في أساطير الشرق واغانيه. يتذكر نهارات البصرة، السفن، غابات النخيل، وشناشيل البيوت الخشبية، يتعجب ان لليهود - هنا - بيتوفا بزخرفة هندسية دقيقة، يسونها الشناشيل. يتذكر في الكتب التي قرأها ان اليهود لهم قدم بعيد في هذه البقاع، هم بقايا سبي الملك البابلي نبوخذ

## قراءة المكان بذاكرة الأمس والحاضر (3)

# زنج يتهبون بوجههم العنيدة مع لهيب شمس الكوت



أرش رامبو



بدر شاكر السياب



فكتوريا

جدي، ولم يزل مدفوناً بترابها، وربما المقالة وضحت كثيراً مما يريد أن تشعب بفضوله عشقه لهؤلاء الناس، والصورة التي حملت وجه الرجل المنفتح، والذي يعزف بنائه.. عندما قرأها مترجمة للإنكليزية عن رجل لمسته المدينة في تواريخ غموضها، وصار لحن نابه طقساً يومياً لحياتها، وهي تحز التواريخ بعربات الدهشة والحروب واجفان شهرزاد وإيقاعات كلمات نحوي في اللغة العربية اسمه الفراهيدي.

قرأ في المقالة تاريخ زنج المدينة، وعرف أنهم بعض من شجنها، وأيقن - وهو الذي اعتاد، كما يتر جد والدته - أن يذهب إلى مكتبة المتحف البريطاني، ويفتش عن تواريخ بابل وأهلها؛ ليعرف الآن، وعلى أطراف مقالة المترجم أمير: إن هذه البلاد في أزمنة عظمتها وعزها كانت تروي الشعوب والأحسا عليها، كما بريطانيا اليوم، والزنج الذي كان يشم عطرمهم في الشوارع الخلفية للندن، ويقفي أثرهم في حكايات الرحالة، وفي قصائد شاعر فرنسي حبه كثيراً اسمه (أرش رامبو) موجودون هنا في المدينة، كجذر تاريخي في وجودها من أزمنة بعيدة.

لقد عشق رامبو وأحب شعره تيمناً بعشق جده ميتر لهذا الشاعر الذي يمتلك حسماً روحانياً، كما عند آل لورنس، ومنهم الجاسوس البريطاني الشهير الذي خدم في العراق في ذات الحرب التي شارك بها جده بيتر، وكذلك الروائي د. آج لورنس الذي عشق كثيراً ورايته الشعل، وقد جلبها معه إلى البصرة، وتعجب كثيراً عندما أخبره المترجم أمير أن هذه الرواية مترجمة في العراق، وأن الشاعر أرثر رامبو معروف جداً في العراق.

لهذا؛ قرئت له مقالة المترجم شكلاً خفياً من وجود المدينة، وأسقطه على كل المشاعر التي تشعله وتمنحه شهوة الخوف والغموض في هذه الأرض الملتهية.

كان المترجم أمير يتحدث له عن سقف يلتهبون بوجههم العنيدة مع لهب الشمس، ويمارسون المهر السشافة، ويغوصون في قاع الخليج بحثاً عن أشياء لأعنة وثمينة، ويقفون في الماء لأكثر من عشرة دقائق، ولا يتنفسون. يقولون المراكب إلى أمكنة بعيدة؛ مسقط وزنجبار وعدن ودلي، ومنهم من يصل إلى سرنابدي، يجلبون التوابل والأحجار الملونة الأخرى، وما هي رؤى أمير فُوقظ فيه أزمنة تتداخل في طقس من الأشتهاء، ويحاول أن يمسك ثبات بهجة، كي لا تنفلت منه في زحمة استعادة كل هذه التواريخ من

ولهذا؛ تراه العائلة قديماً؛ لأنه مات في المدينة التي ولد فيها المسيح. وبالرغم من هذا، تعتبره العائلة مات في الغربية، وربما بسببه الاخفا يموتون تباعاً في غربة الحروب التي تقول عنها الملكة فكتوريا: إنها صنعت مجد شمسنا التي لا تغيب.

دافى القرش، ولا حاجة لي لأستحم، فهو مثل غيمة المطر، السباحة فيه متعة. همس إليها حين طلعت منه أن يزيل عن جسده غبار المدينة التي كان يكتب لها عنها في رسائله الإلكترونية: كانت هذه البلاد (البصرة) عبارة عن حديقة من ملايين النخل. الآن هي حديقة هائلة من النخل المقطوع الأعناق. أقول لك: البلاد التي كان يعتقد أنها جنة عدن، هي الآن جنة للغبان والمصمراء والقيظ الذي لا يجف.

لنستحم معاً، حتى تزيل عنك تراب المدينة القبيظ.

كلا، أريد أن أبقيه معي. لهذه الليلة فقط.

ماذا؟

- لأنه تراب شهریار.

- أنا شهرزاد، إنن. أشعر بنشوة أن أكون أنا هي.

- كوني، ولكن بطقس شرقي. - سادهن لك جسدي بعطر زيت حاد، جلبته لي أنت من هناك. إنه قوي، ويصنع في الراس صداعاً. وعرفت منك أن هذا العطر أكثر ما يستخدمه الزنج، لأنهم يتحملون العطر القوي؛ ليكونوا أقوياء في ساداتهم. لهذا؛ الليلة سيكون لنا الشرق، نمارس فيه حلم أن تنسى كل ما برهنا هناك.

ارتعش قليلاً، فكلما يتذكر المكان (هناك) يرتجف فيه شيء.

سأدندن لك جسدي بعطر زيت عينيها. وسوية التقا على بعظهما. نسيت عطرها الزنجي، وظلت تلوك لساعة بلسانه، ويتصاعد منها اشتياق ملتهق، يتذكر في لذته أجواء المدينة المغلقة بصمتها وخبان العجالات

ومصخب أسواقها المنشأة بروائح التوابل الهندية، وبين دققة وأخرى يفتح عينيها؛ ليقفوع رعشة أصابعه إلى مكان جديد، تكون فيه هي أكثر سعادة ونشوة واستعداداً؛ لترضى بخدوش انظاره الطويلة على المساحات الناعمة في صدرها وعتقها وبقي أماكن جسدها.

إنه يستحم في بحيرة حلم يتماها الآن جنود مفرزته بلهفة، ويجسودونه عليها. وفي ثنابا هذا العري الذي أتت به إليه، بعد أن غابت لدقائق، وتدهن جسدها بزيت أسود معطر قوي القفانبة، البشراء لها من سوق الهندو في البصرة، وحين سال البائع عن اسمه قال له هذا لعطر يسطر.

يدوخ، وترجمها له المترجم الذي رافقه في جولة روتينية بأسواق البصرة في الأشهر الأخرى.

احتلالها ما معنى يسطر، ويدوخ، قال له المترجم إنه يعني في العامية العراقية يجلب الصداق

القوي، واسم العطر (الأسودان) وهو عطر يجلب من إفريقيا، وأكثر من يستخدمه زنج

البصرة. أوف... الزنج البصريون شكل مميز لهذه المدينة. وربما انتبه

لشكلهم يوم طلب من أحد المترجمين أن يعطيه دروساً في اللغة العربية. وكان يحاول -

دائماً - أن يتهجى الحروف العربية التي يجدها في



طلانق قوات الاحتلال البريطاني تدخل بغداد في 11/ من آذار/ 1917